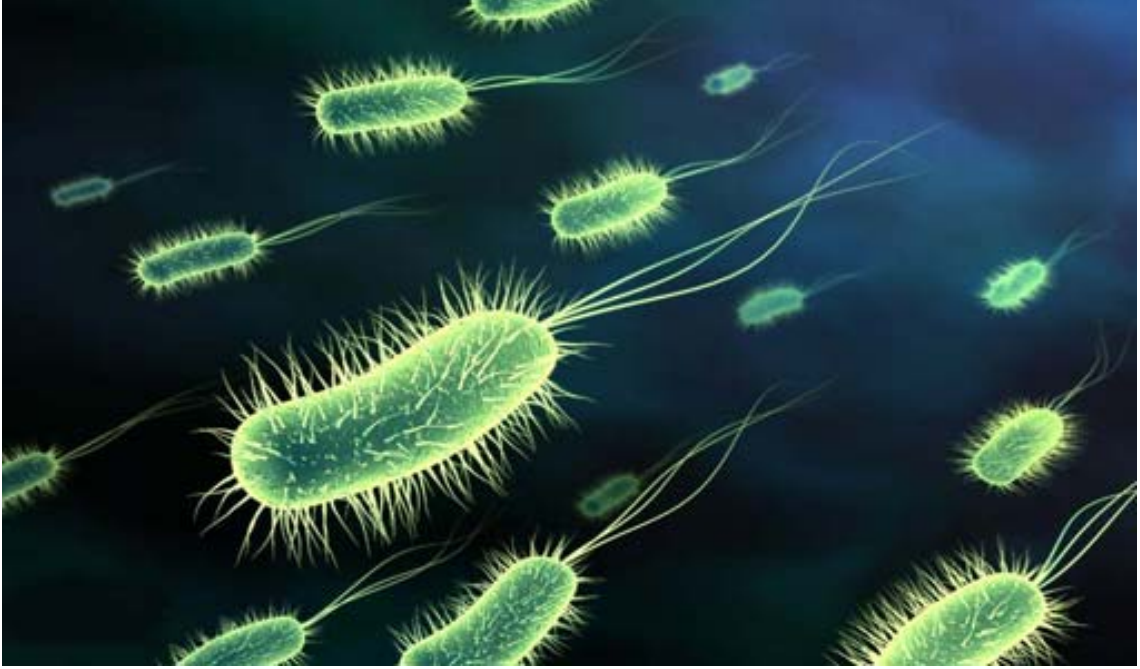


الدماغ.. ضحية جراثيم



يمكن أن يصل التأثير المرضي لبعض الجراثيم إلى حد إحداث خلل في دماغنا. وفي هذا الاكتشاف ما يثير القلق، لكنه يتيح أيضاً مداعبة أمل أسطوري: معالجة الأمراض النفسية بصورة فعالة.

أن تكون الجراثيم ضرورية لحياة كلِّ كائن حي، فتلك فكرة صارت مألوفة. وأن تكون مسؤولة عن مجموعة لا متناهية من الأمراض الإنتانية، بعضها مميت، فتلك معلومة ليست مفاجئة. إلا أن تأثير الجراثيم على الإنسان لا يتوقف هنا على الأرجح. وتتيح بعض الدراسات، المتزايدة باستمرار، الاعتقاد بأنها تتسلل خفيةً إلى دماغنا، فتكثّف مزاجنا، أو تسبب أمراضاً عصبية ونفسية.

الذاتوية autism والفصام، أو حتى الاكتئاب اضطراباتٍ قد لا تكون سوى تأثيرات غير مباشرة كثيراً أو قليلاً لإنتانات جرثومية. ويمكن أن تكون عللٌ تنكّسية عصبية، مثل باركنسون أو الزهايمر ناتجةً عن تأثيراتها أيضاً، بل وربما كانت حتى الحوادث الوعائية الدماغية المأساوية ناجمة عن أذيتها.

في الواقع، أثبت عدد من الأطباء اليابانيين، في سبتمبر 2011، أن ثلث حالات النزيف الدماغي - الشكل الأشد تخريباً - بين الحوادث الوعائية الدماغية والسبب الثاني للخرف عقب مرض الزهايمر - يمكن أن تكون النتيجة المباشرة لأذية الجرثومة "العقدية الطافيرة" *Streptococcus mtans*، التي تسبب تسوّس الأسنان. إن إحدى سلالاتها الأندر، أو على نحو أدق السلالة المسماة (K)، هي المعنية هنا: موجودة في أفواه 8 إلى 10 في المائة من الناس، ولكن عثر عليها أيضاً لدى 27 في المائة من ضحايا النزف الدماغي. فضلاً عن ذلك، كان فريق فرنسي من "المعهد الوطني للصحة والدراسات والأبحاث الطبية" Inserm قد شرح قبل بضعة أشهر كيف يمكن للجراثيم الموجودة بمستوى اللثة، مثل الجرثومة *Porphyromonas* وتسبب (مثلاً بالفرشاة الأسنان تنظيف خلال) "اجد دقيقة جروح خلال من الدم إلى تنتقل أن *gigivalis* أمّ الدم anevrisme.

بالنسبة للفريق الياباني، يبدو الأمر واضحاً: تخترق بعض الجراثيم جهاز الدم، وعند إفلاتها من قبضة الجهاز المناعي تعيش لبضع ساعات في نواح متهدمة من الأوعية الدموية، فتعيق بذلك ترميمها الطبيعي حينذاك، ينتهي الأمر بعدد من الأوعية التي تروي الدماغ بأن تنقب فيخرج منها الدم ويخرب نواحي دماغية.

وليس هذا كل شيء، يمكن أن يكون داء باركنسون، الذي يكشف التصوير الدماغي عن وجود أذيات نوعية تخصه في الدماغ، ناتجاً عن علة... معوية، جرثومية المنشأ، وفقاً للمعاينات التي أجراها طبيب الأعصاب الألماني "هايكو براك" Braak Heiko وطبيب الجهاز الهضمي الأسترالي "توماس بورودي" Thomas Borody.

ذيفان في الأمعاء:

أيدت هذه الفرضية ملاحظتان: أولاً، تحدث الأذيات الدماغية غالباً في عصيونات المعى *intestin* قبل أن تصل إلى الدماغ، ثم لوحظ بالصدفة في العام 2008 أن مريضاً مصاباً بداء باركنسون شهد تحسناً مهماً في وضعه من خلال معالجته بمضاد حيوي موجه ضد جرثومة "المطثية العسيرة" فعلاً كان الحيوية بالمضادات العلاج هذا أن وظهر. للإمساك كعلاج يوصف والذي، *Clostridium difficile* لدى سبعة مرضى آخرين من أصل ثمانية ممن تلقوه. بذلك، يشتهر باحثون كثيرون بأن التنكس العصبي وتقدمه يمكن أن يكونا ناجمين عن ذيفان (سُمّين) *toxine* تطلقه جراثيم معوية. وربما كان هذا الذيفان يعرقل منظومة ضبط أحد البروتينات فيجعله يتراكم في العصيونات إلى أن يخرّبها. ولكن لم يتم تحديد هذا الذيفان حتى الآن.

وربما كان مرض الزهايمر أيضاً ناتجاً عن سبب جرثومي. وكانت هذه الفرضية قد ظهرت منذ بداية القرن العشرين، لكنها استُبعدت في وقت لاحق، غير أنها تستند اليوم إلى معطيات وبائية وملاحظات سريرية مقنعة. وتشير هذه الملاحظات إلى أن المسبب هو جراثيم من فصيلة "الملتويات" *spirochetes* التي نجد بينها الجرثومة المسببة للزُّهري المسماة "اللولبية الشاحبة" *pallidum Treponema* والأخرى المسببة لداء "لايم" *Lyme* (طفح جلدي وآلام عضلات والتهاب مفاصل وحمى وأعراض أخرى..). المسماة "البورليّة البرُغْدروفية" *burgdorferi Borrelia*. يمكن أن تكون هذه الملتويات، التي لا نعثر عليها في الأدمغة السليمة، موجودة في أدمغة 90 في المائة من المصابين بداء الزهايمر! هذه الجراثيم مخيفة للغاية لأن مجرد وجودها يسبب تشكل اللويحات الشيخوخية - ترسبات خارج خلايا الدماغ -، وفق ما تقول "يوديت ميكلوسي" *Miklossy Judith*، مديرة "مركز الأبحاث الدولي حول الزهايمر" (في سويسرا). وكان الباحثون الأمريكيون قد كشفوا عام 2010 أن هذه اللويحات (بعكس نتائج دراسات سابقة) يمكن أن تكون في الواقع ببتيدات *Peptides* (وحدات بنائية رئيسية في جزيئات البروتين) مضادة للميكروبات من المفترض أنها تكافح فيروسات وجراثيم تلوث الدماغ. بعبارة أخرى، إن ما كان ينظر إليه على أنه الخاصية الأولى لداء الزهايمر، أي هذه اللويحات، يمكن أن يكون مؤشراً على استجابة مضادة لإصابة ميكروبية. وهذا ما يجعلنا نفهم سبب فشل العلاجات الحالية. وليست هذه هي المرة الأولى التي يعاد فيها وصف مرض مزمن ويصنف كمرض ناتج عن عامل ممرض. "توجد نقاط مشتركة كثيرة بين الزهايمر والزُّهري، فكلاهما يؤدي إلى خرف ويتميزان بتنكس عصبي وتراكم لـ"ببتيدات بروتينية". ولكن، لزمّت سنوات كي نعرف أن الجرثومة المسماة "اللولبية الشاحبة" هي المسبب، تقول "يوديت ميكلوسي". واليوم، يعالج الزُّهري بالمضادات الحيوية، ومن هنا الأمل بعلاج مرض الزهايمر بأدوية بسيطة.

في نهاية الأمر، أن تكون الجراثيم سبب هذه الأمراض فذاك يمهد الطريق لآفاق سارة: أدوية في تناول وصفة الطبيب، قريباً. في الواقع، لدى الأطباء ترسانة من المضادات الحيوية لمكافحة الجراثيم. إذاً، وعوضاً عن مداواة تأثيرات هذه الأمراض من دون منهج، سيكون من الممكن علاج السبب بشكل مباشر. ومن أن هذا الأمل أن يغير أيضاً الوضع العلاجي بخصوص نمط آخر من الاضطرابات: الأمراض النفسية.

لقد اشتبه بشكل خاص بعدد من الجراثيم المعوية، منذ خمسة عشر عاماً، على أن لها علاقة بالذاتوية (التوحد).

ووالدة المشافي في العمل متطوعة، *Ellen Bolte* بولت إيلين الأمريكية الباحثة وكانت *Autisme*. طفل ذاتوي، هي التي أثارت الفكرة عام 1998. وانطلاقاً من ملاحظاتها وأبحاثها، أوجت بأن المرض قد يكون ناتجاً عن عدم توازن في النبيت الجرثومي المعوي *intestinale flore* وعن فرط وجود جرثومة الكزاز، "المطثية الكزازية" *tetani Clostridium* المعروفة بأنها تنتج ذيفاناً يهاجم الدماغ. وبقي السيناريو نظرياً، ولكن يبدو الذاتويون أن لديهم نبيتاً جرثومياً معوياً خاصاً، مع فرط في وجود جراثيم من جنس "المطثية"، وفق تأكيد "آنا ماكارتن" *McCartney Anne* من جامعة *Reaing* البريطانية.

الفكرة تحرز تقدماً:

في العام 2010، نوهت دراسة أخرى إلى جنس جراثيم تسمى "مُذْتَزِعة الكبريت" *Desulfovibrio*: عدد جراثيم هذا النمط التي عثر عليها في براز أطفال ذاتيين كان أعلى بـ6 إلى 8 مرات (0.276 في المائة من نبيتهم الجرثومي المعوي) مما هو لدى أطفال آخرين غير مرضى (0.032 في المائة). وفي الحالتين، هي جراثيم معروفة بإنتاج مركبات سامة يمكن أن تصل إلى الدماغ إذا ما وجدت في الأوردة. فضلاً عن ذلك، أظهرت أبحاث حديثة حول أطفال مصابين بالذاتوية أنهم غيروا في سلوكهم بعد معالجات بالمضادات الحيوية: ازدادت مفرداتهم ثراءً وأصبحوا أكثر هدوءاً، وأكثر وداً... وكانت هذه التطورات تتلشى في نهاية العلاج! ولكن وجهت انتقادات لهذه الدراسات من حيث إنها لم تشمل سوى عدد صغير من الحالات.

مع ذلك، كانت الفكرة ناجحة، لأنّ الباحثين يعتقدون، بالطريقة نفسها، أنّ الجراثيم "المُذْتَزِعة" *Chlamydiae* (التي تسبب أحياناً جنسية منتقلة جنسياً) يمكن أن يتبين أنها تسبب الفصام. وفي العام 2011، وجد "رودولف وانك Wank Rudolf، من جامعة "ميونيخ"، هذا الجنس الجرثومي في القشرة المخية الجبهية لدى 23.53 في المائة من المصابين بالفصام الذين دُرسوا، مقابل 5.71 في المائة لدى أشخاص سليمين. وهذا الدور يمكن أن تؤديه أيضاً "المَلَوِيَّة البَوَّابِيَّة" أخرى إنتانات وتبدو .المعوية - المعيدة القرحات عن المسؤولة الجرثومة *Helicobacter pylori*، (جرثومية، بل أيضاً فيروسية، وطفيلية)، حينما تحدث خلال الثلثين الأولين من فترة الحمل، أنها تضاعف 10 إن لم يكن 20 مرة مخاطراً أن يطور الطفل حالةً فصامية. إنّ التفاعل الالتهابي (لدى الحامل وجنينها) هو الذي يحدث خلافاً في نمو دماغ الجنين. ويمكن أن تحدث بعض الميكروبات خلافاً أيضاً في الخلايا الدماغية الداخلية. لكن هذا الأمر مازال يحتاج إلى إيضاح.

أخيراً، يمكن أن تكون الجراثيم هي سبب الاستعداد للاكتئاب أيضاً. ومن المعروف أنّ الاكتئاب غالباً ما يقترن باضطرابات هضمية وأن مضادات الاكتئاب يمكن أن تكون لها تأثيرات علاجية على هذه الاضطرابات. ولكن كان من المعتقد أنّ هذا الرابط، المتمثل بالعصب المُذْهَم vague nerve، الذي يربط الدماغ مباشرة بخلايا الجدران المعوية، لا يؤثر إلا في اتجاه واحد: من الدماغ باتجاه الأمعاء. ولكن يبدو أنّ العكس ممكن الحدوث. فقد أثبتت دراسات حديثة جداً قدرة هذه الجراثيم المعوية على تحويل استجابتنا للكرب. كما أوضح فريق إيرلندي - كندي، في العام 2011، أن ابتلاع جراثيم من نمط "المُلاَبِيَّة" *Lactobacillus* يتمخض عند الفأر عن سلوك أقل قلقاً وعن تضائل معدل أحد الهرمونات المرتبطة بالكرب.

تكشف هذه الأمثلة كلها أننا لم نفهم بعد كل دقة تأثيرات الميكروبات التي تعيش فينا، وتوضح جيداً أنّ العلاجات التي يتلقاها مرضى الدماغ غير كافية إلى حد كبير. وإذا ما تأكدت فرضية التأثير الجرثومي فإنها ستغير الحالة القائمة بشكل جذري، ولو أنّ المسارات العلاجية يمكن ألا تصل إلى نتيجة قبل عشر سنوات على الأقل. ثمّ إنّ هذه المسارات تمهد الطريق نحو حقل استقصائي لم تجر فيه بحوث بعد بخصوص التأثير غير المباشر لهذه الميكروبات التي لا تكفّ عن مفاجأتنا.